

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ
 ءَالِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم
 مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُدْعِكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: 124 - 125]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا اشتملت هذه القصة على المصيبة التي سيقصُّ الله كثيرًا منها؛ كان أنسب من قصّها وبيان ما اتَّفَقَ لها - لوعظ من يأتي - البداية بتذكير من باشرها بما وعدهم الله به على لسان نبيّه ﷺ قبل وقوع القتال، فقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، فذكّرهم سبحانه بما كان يوجّهه إليهم النبيُّ ﷺ من توجيهات سامية، وإرشادات نافعة، وبشارات متتابعة⁽²⁾.

بيان موعود
الله تعالى
لعباده المؤمنين
بالإعانة والمدد
بعد حثهم على
التقوى والشكر

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَكْفِيكُمْ﴾: الكفاية مَقْدَارُ سَدِّ الْخَلَّةِ، والقيام بالأمر وبلوغ المراد منه، يُقال: كفاك الشيءُ يَكْفِيكَ، وقد كَفَى كِفَايَةً؛ إذا قام بالأمر، وأصل (كفى): يَدُلُّ عَلَى الْحَسْبِ الَّذِي لَا مُسْتَزَادَ فِيهِ⁽³⁾.

(2) ﴿يُدْعِكُمْ﴾: الإمداد: إعطاءُ الشيءِ حالاً بعد حال، يُقال: مَدَدْتُ الشيءَ أَمْدُهُ مَدًّا، أَي: زَادَ فِيهِ، وَوَاصَلَهُ، وكلُّ ما كان منه بطريق التَّقْوِيَةِ وَالْإِعَانَةِ، يُقال فيه: أَمْدُهُ، وأصل (مدّ): جَرُّ شَيْءٍ فِي طَوْلٍ، وَاتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ، فما كان بطريق الزِّيَادَةِ:

(1) الْيَقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَجَةِ: 5/55 - 56.

(2) طَنْطَاوِي، التفسير الوسيط: 2/248.

(3) الزَّائِبُ، الْفُرْدَاتِ، وَالسَّمِينِ، عَمْدَةُ الْحَفَازِ: (كفى)،

يُقَالُ فِيهِ: مَدَّهُ مَدًّا، والإمداد: إعانة الجيش بالجيش، والمعنى هنا: يساعدهم، ويعينكم، ويقوِّيكم ﴿رَبُّكُمْ﴾ على عدوكم (1).

(3) ﴿مِنْ قَوْرِهِمْ﴾، أي: مِنْ وَجْهِهِمْ أَوْ مِنْ سَاعَتِهِمْ، أَوْ مِنْ غَضَبِهِمْ وَهِيْجَانِهِمْ وَشِدَّةَ تَحَرُّكِهِمْ، يُقَالُ: فَارَ فَائِرُهُ؛ إِذَا غَضِبَ، وَالْفَوْرُ عَكْسُهُ التَّارِخِي، وَهُوَ بِمَعْنَى: سُرْعَةِ الْإِتْيَانِ، وَأَصْلُ الْفَوْرِ: الْغُلْيَانُ وَابْتِدَاءُ الْأَمْرِ قَبْلَ سَكُونِهِ، فَيُؤْخَذُ فِيهِ، وَيُوصَلُ بِآخَرٍ، يُقَالُ: فَعَلَهُ مِنْ قَوْرِهِ، أَي: فِي بَدَأِ أَمْرِهِ، قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَ، وَالْمَعْنَى هُنَا، أَي: مِنْ وَقْتِهِمْ وَسَاعَتِهِمْ (2).

(4) ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، أَي: مُعَلِّمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ أَوْ لَخِيُولِهِمْ بِعَلَامَةِ الْحَرْبِ، مَأْخُوذٌ مِنَ التَّسْوِيمِ الَّذِي هُوَ إِظْهَارُ سِيْمَا الشَّيْءِ، وَهِيَ عَلَامَتُهُ الَّتِي تُعَلَّمُ الْفَارِسَ نَفْسَهُ (3).

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

اذكر - أَيُّهَا النَّبِيُّ ﷺ - حِينَ قُلْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَثَبًا لَهُمْ فِي مَعْرَكَةٍ بَدْرَ بَعْدَمَا سَمِعُوا بِمَدَدٍ يَأْتِي لِلْمُشْرِكِينَ: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يَعِينَكُمْ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ مِنْهُ سَبْحَانَهُ لَتَقْوِيَنَّهُمْ فِي قِتَالِكُمْ؟ بَلَى، يَكْفِيكُمْ ذَلِكَ الْإِمْدَادُ، وَلَكِنْ بَشَارَةٌ بِعَوْنِ آخَرٍ مِنَ اللَّهِ؛ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَاتَّقَيْتُمْ اللَّهَ، وَجَاءَ الْمُدَدُ إِلَى أَعْدَائِكُمْ مِنْ سَاعَتِهِمْ مُسْرِعِينَ إِلَيْكُمْ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَسْتَأْصِلُونَكُمْ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ سَيُعِينُكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ وَخِيُولَهُمْ بِعَلَامَةٍ ظَاهِرَةٍ (4).

❖ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ مَجِي الطَّرْفِ الْمُتَعَلِّقِ بِأَوَّلِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿نَصْرُكُمْ﴾ بَعْدَ الْأَمْرِ

بِالتَّقْوَى ﴿فَاتَّقُوا﴾:

إظهار كمال
العناية بشأن
التقوى في كونها
سبباً للنصر

(إذ): ظرف بمعنى: حين، والعامل فيه فعل مُضْمَرٌ، أي: اذكر حين تقول، ويجوز أيضاً أن تكون بدلاً من قوله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ﴾ (5)،

(1) الزَّاعِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَابْنُ فَارِسٍ، مَعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ: (مد).

(2) لِلصُّطْفِيِّ، التَّحْقِيقُ فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ: 9/155، وَالسَّجِسْتَانِي، غَرِيبُ الْقُرْآنِ، ص: 359، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَايِيسُ اللُّغَةِ: (فور).

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَايِيسُ اللُّغَةِ، وَالزَّاعِبُ، الْفَرْدَاتُ: (سوم)، وَابْنُ الْجَوَازِيِّ، تَذَكُّرَةُ الْأَرِيبِ، ص: 50.

(4) لَجْنَةُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ، الْمُنتَخَبُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص: 91، وَنُخْبَةٌ مِنْ أَسَاتِذَةِ التَّفْسِيرِ، التَّفْسِيرُ لِلْبَيْسَرِ، ص: 66.

(5) السَّمِينُ، الذَّرُّ لِلصُّونِ: 3/384.

والعامل في ﴿إِذْ﴾ هو الفعل ﴿نَصَرَكُمْ﴾ وعلى ذلك فالمقالة المحكيّة عن النَّبِيِّ - ﷺ - وماتلاها كانت في غزوة بدر، وهذا هو الَّذي عليه جمهور المفسّرين⁽¹⁾، ومع أنّ (إِذْ) ظرفٌ لـ (نَصَرَكُمْ) إلا أنّه قدّم عليه الأمر بالتّقوى؛ لإظهار كمالِ العِناية به⁽²⁾.

سِرُّ تنويع الخطاب من خطاب الجمع إلى مخاطبة المفرد:

ضمير المخاطب في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ موجّه مباشرة إلى شخص الرّسول الكريم ﷺ بتخصيصه ﷺ؛ تشریفًا وإيذانًا بأنّ وقوع النّصر كان ببشارته ﷺ، بذلك المدد من الله ﷻ، فكان هذا تلويّنًا للخطاب ونقلًا له من أسلوب خطاب المؤمنين الَّذي انتهت به الآية المتقدّمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إلى أسلوب خطاب الرّسول وحده على سبيل التّخصيص والتّشريف الَّذي هو عين التّكريم من الكريم جلّ عِزّه وثناؤه⁽³⁾.

تخصيص النَّبِيِّ
بلذيد
الخطاب تشریفًا
وتكريمًا

بلاغة العدول عن التّعبير بفعلٍ مَضَى وانقضى إلى فعلٍ مُضارع:

إنّ هَذِهِ الَّتِي وقعت أحداثها، ومضى زمانها، قد حُكِيت بالفعل المضارع، وصُرفِ النَّظَر عن التّعبير عنها بالفعل الماضي، مع أنّه هو المناسب في الظّاهر لكون الحدث قد مضى؛ يُفسّر لنا مَشْهَدَهَا أنّ طبيعة الفعل المضارع هي الَّتِي تقي بغرض النّظم، وتأتي عليه، والمراد به الوقتُ الممتدُّ الَّذي وقع فيه ما ذكر بعده، وما طُوِيَ ذكره تعويلًا على شهادة الحال ممّا يتعلّق به وجودُ النّصرِ فصيغةُ المضارع ﴿تَقُولُ﴾ جاءت لحكاية الحالِ الماضية لاستحضار صورتها، أي: نصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين أظْهَرُوا الْعَجْزَ عن المقاتلة⁽⁴⁾، ولهذا أوتر المضارع دون غيره.

استحضار صورة
الحال الماضية في
هيئة المشاهدة
الحاضرة

(1) وهو اختيار ابن جرير وابن كثير وأبي حنّان وأبي السّعود، وغيرهم

(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْلِ السّليم: 2/79 - 80.

(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْلِ السّليم: 2/79، والخبين، النظم القرآني: 104.

(4) أبو السّعود، إرشادُ العَقْلِ السّليم: 2/80.

كونه وقت ظهور
العجزة وتمام
النعمة

مدح لتلك الثلة
المؤمنة الصابرة
وثناء عليهم
بوصف الإيمان
لوجوب لرضا
الرحمن

تشريف المؤمنين
بإثبات كفايتهم
بهذا العدد
وتقريرها
والإشعار
بحالهم يوم
المعركة

نكتة تخصيص وقت البشارة بالإمداد بالذكر في مقام الامتنان:

وُخِّصَ هَذَا الْوَقْتُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ وَقْتُ ظُهُورِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ، وَهَذِهِ النِّعْمَةِ، فَكَانَ جَدِيرًا بِالتَّذْكِيرِ وَالِامْتِنَانِ⁽¹⁾.

دلالة الألف واللام في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للخاطبين بهذا الوصف الجليل:

الألف واللام في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: قُصِدَ بهما التَّعْرِيفُ الْحَاضِرِيُّ؛ فالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْقَوْلُ؛ هُمُ الَّذِينَ حَضَرُوا غَزْوَةَ بَدْرَ، وَلَيْسَ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ زَمَنُ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، لَمْ يَخْرُجُوا لِمُلَاقَاةِ الْعِيرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِكُونِهِمْ لَمْ يَسْتَنْفِرُوا، أَوْ لِكُونَ الْخُرُوجِ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ الْقِتَالُ فِي الْبَدَايَةِ، وَلَكِنَّهُ أَلْ إِلَيْهِ فِي النَّهَايَةِ⁽²⁾، وَفِي هَذَا الْوَصْفِ مَدْحٌ وَثَنَاءٌ لَتِلْكَ الطَّلِيعَةِ مِنَ طُلَائِعِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ غَرَسُوا بِإِيمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ نَوَاةَ الْجِهَادِ وَالْفِدَاءِ لِهَذَا الدِّينِ، وَأَحَاطُوا بِبَيْضَةِ الْإِسْلَامِ بِسُورٍ مَنِيعٍ وَحَصَنَ حَصِينَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ الْمُبَارَكَةِ الْعَظِيمَةِ، فَكَانَتْ فَاتِحَةً غَزَوَاتِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

دلالة دخول همزة الاستفهام على أداة النفي:

الغرض البلاغي من دخول الهمزة في الجملة وإيقاعها على حرف النفي (لن): هو إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك العدد من الملائكة المذكور في الآية، والكفاية تكون بسدِّ الخَلَّةِ وبلوغ المراد في الأمر، وإيقاع الكفاية على المؤمنين - مع مخاطبتهم بذلك في معرض الإنكار - فيه تشريف ظاهر للمؤمنين، حيث كَفُّوا شَرَّ الْأَعْدَاءِ، وَالَّذِي كَفَاهُمْ هَوْرُبُهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَوَرُودُ أَدَاةِ النَّفْيِ (لن) الَّتِي تَقِيدُ تَوْكِيدَ النَّفْيِ، وَتَسْلِيْطُهَا عَلَى فِعْلِ الْكُفَايَةِ؛ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ لَضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ وَقُوَّةِ الْعَدُوِّ وَكَثْرَتِهِمْ⁽³⁾، كَالْأَيْسِينَ مِنْ كُفَايَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/72.

(2) الخنين، النظم القرآني: 104.

(3) أبو السعود، إِنْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 2/80.

هذا المدد من الملائكة، فأوقع الاستفهام التقريري على ذلك؛ ليكون تلقيناً لمن يُخالج نفسه اليأس من كفاية ذلك العدد من الملائكة، بأن يُصرّح بما في نفسه، والمقصود من ذلك لازمه، وهذا إثبات أن ذلك العدد كافٍ⁽¹⁾.

دلالة إضافة الإمداد إلى عنوان الرُّبُوبِيَّة:

وإسناد الإمداد إلى الربّ تبارك وتعالى من باب إسناد الفضل إلى صاحبه، والتعرُّض لعنوان الرُّبُوبِيَّة فيه إشارة إلى أن هذا المدد رافة بكم وإصلاح لشأنكم، ولهذا جاء إضافة الربّ إلى ضمير المؤمنين على سبيل مخاطبتهم بلغة الرّحمة، ففي هذه الإضافة إظهار لمزيد العناية بهم، وإفصاح عن علة إمدادهم، وهي كونه ربّاً لهم، يرحمهم وقت ضعفهم، فيزيد من قوتهم بمدده وجنده، وهذه نهاية التّشريف، وغاية الكرامة في الحياة الدُّنيا، وفي الآخرة؛ ففيه إشعارٌ بحسّن النّظر لهم، واللّطف بهم⁽²⁾.

سِرُّ التّكثير بِذِكْرِ العدد مع جمع لفظة الملائكة:

إنّما كانت الفائدة في كثرة الملائكة؛ لتسكين قلوب المؤمنين، ولأنّ الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيامة، فكلُّ عسكٍ صبرٌ واحتسابٌ؛ تأتيهم الملائكة، ويُقاتلون معهم⁽³⁾.

كما أن إيراد اسم العلم ﴿الْمَلَكِيَّة﴾ بصيغة الجمع في سياق خطاب المؤمنين، ومساءلتهم على لسان نبيهم قبيل بداية غزوة بدر الكبرى، والغرض من ذلك كله: هو طمأننة قلوب المؤمنين، وتبشيرهم بنصر الله؛ لأنّ المدد حاصل من ربهم، ونوع هذا المدد هم الملائكة، وهم من هم غلظة وشدة على أعداء الله؛ ولذلك فلا

تشريف المؤمنين
بحسن النّظر
لهم واللّطف
بهم

تسكين قلوب
المؤمنين
وطمأننتهم
وتبشيرهم
بالنصر

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/353، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/73.

(2) أبو خيثان، البخر الحيط: 3/334، والخبين، النظم القرآني: 105.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/194.

إلقاء المهابة
على مكانة المدد
الملائكي وكثرة
عدده

إبطال النفي
وإثبات كون
العدد كافياً

جرم بأن يذهب عن أصحاب النبي ﷺ الرُّوع، وتسكن نفوسهم إلى ربهم، وتتعلق قلوبهم به، وتأتמר بأمر نبيّه⁽¹⁾.

نُكْتة وَصَفِ الْمَلَائِكَةِ بِالْمُنَزَّلِ:

ولفظه ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ وصف لثلاثة آلاف، أو هي حال من الملائكة، وعلى كلا الاحتمالين؛ فإنَّ فائدتها ظاهرة، وهي إلقاء المهابة على هذا المدد بكونه غير عاديٍّ ولأما لُوف، بل هو مدد له مكانته وقيمته، مما يجعل الممدودين به في ثقة وأمان من أيِّ عدوٍّ كان؛ للدلالة على أنهم يَنزِلون إلى الأرض في مَوْقع القتال عنايةً بالمسلمين⁽²⁾، وقرئ ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ بتشديد الزاي⁽³⁾، وعلى هذه القراءة يكون المعنى: إفادة كثرتهم، أو التدرُّج في نزولهم⁽⁴⁾.

نُكْتة الجواب بـ ﴿بَلَىٰ﴾ بعد الاستفهام التَّقْريبي:

فلأجل كون الاستفهام السَّابِق تقريرياً غير حقيقيٍّ كان جوابه بـ ﴿بَلَىٰ﴾ إِبْطَالاً لِلنَّفْيِ، وَإِثْبَاتاً لِكَوْنِ ذَلِكَ الْعَدَدِ كَافِياً، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ مَقَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمُؤْمِنِينَ⁽⁵⁾.

فقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما بعد ﴿أَلَنْ﴾ بمعنى: بلى يكفيكم الإمداد بهم، فأوجب الكفاية⁽⁶⁾ من حيث كان الأمر بيّناً في نفسه بأنَّ الملائكة كافية، فبادر المتكلم إلى الجواب؛ ليبني ما يستأنف من قوله عليه، فقال: ﴿بَلَىٰ﴾، وهي جواب المقررين، وهذا يحسن في الأمور البَيِّنَةِ الَّتِي لَا مَحِيدَ فِي جَوَابِهَا، ونحوه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾⁽⁷⁾ [الأنعام: 19].

(1) الخنين، النظم القرآني: 104.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/74.

(3) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِتَشْدِيدِ الرَّاي، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهَا، ينظر: ابن الجزري، الشُّر: 2/242.

(4) البياضوي، أنوار التنزيل: 2/37، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/80، والخين، النظم

القرآني، ص: 104.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/73.

(6) الرَّمْخُسَرِيُّ، الكُشَّاف: 1/411.

(7) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/503.

سِرُّ مُخَاطَبَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِصِيغَةِ الْمَضَارَعَةِ:

فمخاطبة المؤمنين عبر ضمائر الخطاب من خلال صيغة الفعل المضارع، فكأنما قيل لهم: إِنَّ تَحْلِيَكُمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى وَمَفَاجَأَ الْعَدُوِّ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، لَا يَضُرُّكُمْ، فَإِنَّ مَدَدَ رَبِّكُمْ لَكُمْ يَسْتَتِيعُ هَذِهِ الْأَحْوَالُ⁽¹⁾.

التَّنْوِيهِ بِالتَّحْلِيِّ
بِالْأَوْصَافِ
الْجَالِبَةِ لِلنَّصْرِ
وَالْمَدَدِ

فَقَدْ رَتَّبَ تَعَالَى عَلَى مَجْمُوعِ: الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى وَإِتْيَانِ الْعَدَدِ مِنْ فَوْرِهِمْ إِمْدَادَهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَكْثَرِ مِنَ الْعَدَدِ السَّابِقِ، وَعَلَّقَهُ عَلَى وُجُودِهَا، بِحَيْثُ لَا يَتَأَخَّرُ نَزُولُ الْمَلَائِكَةِ عَنْ تَحْلِيهِمْ بِثَلَاثَةِ أَوصَافٍ⁽²⁾.

دلالة الفور وإضافته إلى كفار قريش:

الفور: العجلة والسُرعة، ومنه: (فَارَتِ الْقِدْرُ) اشْتَدَّ غَلْيَانُهَا، وسارع ما فيها إلى الخروج، يقال: فَارَ يَفُورُ فَوْرًا، وَيُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْغَضَبِ وَالْحِدَّةِ؛ لِأَنَّ الْغَضْبَانَ يَسَارِعُ إِلَى الْبَطْشِ بِمَنْ يَغْضَبُ عَلَيْهِ، فَالْفُورُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ، ثُمَّ يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْحَالَةِ الَّتِي لَا رَيْثَ فِيهَا وَلَا تَعْرِيجَ عَنْ شَيْءٍ سِوَاهَا⁽³⁾، وَهَذَا الْمَعْنَى اللَّغُويُّ لَهُ ارْتِبَاطٌ شَدِيدٌ بِالْمَعْنَى الْقِرْآنِيِّ الْمَعْبَّرِ عَنْهُ، فَإِنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَرِيشٍ فِي مَكَّةَ قَدْ عَزَمُوا عَلَى حَزْمِ أَمْرِهِمْ، وَالْخُرُوجِ مِنْ فُورِهِمْ نَصْرَةَ لِقَوْمِهِمْ فِي بَدْرِ بِقِيَادَةِ: كُرْزِ بْنِ جَابِرِ الْمُحَارِبِيِّ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ هَذَا مَدَدٌ لِلْعَدُوِّ، وَزِيَادَةٌ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِمْ، وَالْمُسْلِمُونَ قَلَّةٌ فِي عِدْدِهِمْ وَعَدَّتُهُمْ، فَجَاءَ وَعْدُ رَبِّهِمْ جَلًّا وَعِلًّا غَوْتًا لَهُمْ، وَشَدًّا لِمَآزِرِهِمْ فِي سَاعَةِ مَا يَكُونُونَ لَذَلِكَ، فَلَفِظَ فَوْرَهُمْ فِيهِ تَأْكِيدٌ لِسُرْعَةِ إِتْيَانِهِمْ وَإِمْدَادِهِمْ⁽⁴⁾، وَإِضَافَةُ الْفُورِ إِلَى ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ الْعَائِدِ عَلَى كَفَّارِ قَرِيشٍ؛ لِإِفَادَةِ شَدَّةِ اخْتِصَاصِ الْفُورِ بِهِمْ،

تصوير شدة
ارتباط الفور
واختصاصه بهم
وتأكيد سرعة
إتيانهم

(1) الخنن، النظم القرآني: 106.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 3/334.

(3) السمين، الدرر للصون: 3/387.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/80.

أي: شدة اتّصافهم به، حتّى صار يعرف بأنّه فورهم، ومن هذا القبيل قولهم: خرج من فوره⁽¹⁾.

سِرُّ الكناية بالفور على العجلة:

فاسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ كناية على كونه عاجلاً، فكان ذكره تنبيهاً إلى هذا الفور، ونصّاً عليه، وتنزيلاً له منزلة المشاهد القريب⁽²⁾.

دلالة اقتران لفظ (الفور) وعطفها على ذكر الصبر والتّقوى:

ونظّم إتيانهم بسرعة في سلك شرطيّ الإمداد المستتبعين له وجوداً وعدمًا - أعني: الصّبر والتّقوى - مع تحقق الإمداد - لا محالة - سواءً أسرعوا أم أبطؤوا؛ لتحقيق سرعة الإمداد لا لتحقيق أصله، أو لبيان تحقّقه على أيّ حال فُرِضَ على أبلغ وجهٍ وأكّده بتعليقه بأبعد التّقادير؛ ليُعلم تحقّقه على سائرهما بالطّريق الأولى؛ فإنّ هجوم الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظانّ عدم لُحوق المدد عادةً، فعُلّق به تحقق الإمداد إيداناً بأنّه حيث تحقّق مع ما ينافيه عادةً، فلانّ يتحقّق بدونه أولى وأحرى، كما إذا أردتَ وصفَ درع بغاية الحصانة، تقول: إن لبستها، وبارزت بها الأعداء، فضربوك بأيدي شدادٍ وسيوفٍ حِدادٍ؛ لم تتأثّر منها قطعاً⁽³⁾، هذا فضلاً عن التّأكيد الأقصى بأهميّة الصّبر والتّقوى بذكرهما، والنّصّ على ضرورة وجودهما حتى يترتّب عليه النّصر والمدد، وفي ذلك إشارة إلى توجيه الاهتمام الكامل بتحقيق الشرط حتى يتحقّق المشروط⁽⁴⁾.

دلالة إظهار اسم الرّبّ مرّة أخرى مع تكرار ذكر الملائكة وزيادة عددهم:

ففي إظهار اسم الرّبّ وإضافته إلى ضمير المخاطبين المتوجّه إلى المؤمنين، وإسناده إلى المدد الثّاني، تأكيد الإشعار بحسن النّظر

التّنبية إلى الفور
وتنزيله منزلة
المشاهد

تحقيق سرعة
الإمداد مع
الفور، وحصوله
لا محالة بفور
الكفّار أو دونه

تأكيد تشریف
المؤمنين بحسن
النّظر لهم
واللّطف بهم
وتهدئة روعهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76، والخنين، النظم القرآني: 107.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76.

(3) أبو الشعود، إزشاء العقول السّليم: 2/80.

(4) الخنين، النظم القرآني، ص: 108.

لهم، واللطف بهم⁽¹⁾، كما أن فيه تشريعاً وتكريماً لهم، وأما زيادة عدد المدد إلى خمسة آلاف، فقد قصد منه تأكيد تهدة روعهم، وزيادة طمأنة قلوبهم، وسوق عاجل البشرى بنصرهم على عدوهم المتكالب عليهم، وإظهار اسم الملائكة مرة أخرى وعدم الاكتفاء بذكرهم في الآية السابقة لمزيد الاعتناء بأهميتهم، ولكونهم مدداً غير عادي ولا جارٍ في عرف البشر⁽²⁾.

الحكمة من تدرج ذكر الدد بين سورتي الأنفال وآل عمران:

حيث ورد في سورة الأنفال ذكر قصة غزوة بدر، وأخبر تعالى فيها عن المدد بألف من الملائكة، فقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝﴾ [الأنفال: 9]، بينما أخبر في سورة آل عمران عن المدد بثلاثة آلاف، ثم الزيادة إلى خمسة آلاف، والأعداد المذكورة هنا مناسبة لجيش العدو؛ لأن جيش العدو يوم بدر كان ألفاً؛ فوعدهم الله بمدد ألف من الملائكة، فلما خشوا أن يلحق بالعدو مدد من كرز المحاربين؛ وعدهم الله بثلاثة آلاف، أي: بجيش له قلب وميمنة وميسرة، كل ركن منها ألف، ولما لم تنقش خشيتهم من إمداد المشركين لأعدائهم؛ وعدهم الله بخمسة آلاف، وهو جيش عظيم له قلب وميمنة وميسرة ومقدمة وساقة، وذلك هو الخميس، وهو أعظم تركيباً وجعل كل ركن منه مساوياً لجيش العدو كله⁽³⁾.

سر الكناية عن الشدة بالتسويم:

﴿مُسَوِّمِينَ﴾⁽⁴⁾: مشتق من السومة، وهي العلامة، وتطلق السومة على علامة يجعلها البطل لنفسه في الحرب من صوف أو

بيان التدرج في
العدد بحسب
العدد

بيان قوة الدد
الملائكي وعدم
خلوص المقاتلين
إليه

(1) أبو حيان، البخز الحيط: 3/334، والخبين، النظم القرآني، ص: 105.

(2) الخبن، النظم القرآني، ص: 108.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76 - 77.

(4) وقد اختلف القراء في: (مُسَوِّمِينَ) فقرا ابن كثير، والبصريان، وعاصم بكسر الواو، وقرا الباقون بفتحها، بنظر: ابن الجزري، النشر: 2/242.

رِيشَ مُلَوَّنٍ، يَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِهِ أَوْ عَلَى رَأْسِ فَرَسِهِ، يَرْمِزُ بِهَا إِلَى أَنَّهُ لَا يَبْقَى أَنْ يَعْرِفَهُ أَعْدَاؤُهُ، فَيَسُدُّوا إِلَيْهِ سِهَامَهُمْ، أَوْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِ بِسُيُوفِهِمْ، فَهُوَ يَرْمِزُ بِهَا إِلَى أَنَّهُ وَاثِقٌ بِحِمَايَتِهِ نَفْسَهُ بِشَجَاعَتِهِ، وَصَدَقَ لِقَائِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَغِبُ بغيرِهِ مِنَ الْعَدُوِّ وَوَصَفُ الْمَلَائِكَةِ بِذَلِكَ كِنَايَةً عَلَى كَوْنِهِمْ شِدَادًا⁽¹⁾.

❁ الفُرُوقُ الْمُجْمِئَةُ:

المدد والإمداد:

أكثر ما يكون المدد في الشرِّ، وأكثر ما يكون الإمداد في الخير

الإمداد: ما كان على جهة القوَّة والإعانة، يُقال فيه: أَمَدُهُ إمدادًا، وما كان على جهة الزيادة، يُقال: مَدَّهُ مَدًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ [القمان: 27]⁽²⁾، وأكثر ما يكون المدُّ في الشرِّ والإمداد في الخير، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15]، وقوله: ﴿وَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: 79]، والإمداد يكون في الخير: ﴿أَتَى مُيُذْنُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، وقال: ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: 26]⁽³⁾.

المجيء والإتيان:

الإتيان مجيءً بسهولةٍ، والنجيئة أعمُّ

الإتيان: مجيءٌ بسهولةٍ، والمجيءُ: كالإتيان، لكنَّ المجيءَ أعمُّ⁽⁴⁾، فالإتيان: هو الأعمُّ والأشملُّ، وهو البداية، فإذا اكتمل، وبلغ مقصده من مكانٍ أو زمانٍ أو شخصٍ؛ أصبحَ مجيئًا، فالمجيءُ: هو إتيانٌ مُحَقَّقٌ بَعِيدٌ عَنْ عَوَامِلِ النَّقْصِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: 129]، فالإتيان: بدايةُ المجيءِ زَمَانِيًّا أَوْ مَكَانِيًّا، وَقَدْ لَا يَتِمُّ، فَلَا يَكُونُ مَجِيئًا، أَمَّا المجيءُ: فَهُوَ إِيْتِيَانٌ مُحَقَّقٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76.

(2) الرَّاغِب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللغة: (مد)، والهرري، حقائق الرُّوح والزَّيْجَان: 5/108.

(3) الثعلبي، الكشف والبيان: 3/143، والبعغوثي، معالم التنزيل: 1/502.

(4) الرَّاغِب، المفردات: (أتى).

قَرِيبُ زَمَانِيًّا وَمَكَانِيًّا⁽¹⁾، فَكُلُّ مَجِيءٍ إِيَّانُ، وَلَيْسَ كُلُّ إِيَّانٍ مَجِيئًا، أَمَّا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ فَمَنْ تَكَلَّمَ عَنْ صِفَةِ الْمَجِيءِ وَالْإِيَّانِ مِنْ مُحَقِّقِي أَهْلِ السُّنَّةِ⁽²⁾؛ يَجْعَلُهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُمَا بِالْأَدِلَّةِ نَفْسَهَا دُونَ تَفْرِيقٍ، فَالْفَرْقُ السَّابِقُ غَيْرُ وَارِدٍ هُنَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ [الأنعام: 158]، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22].

(1) جبل، للعجم الاشتقاقِيُّ الْمُؤَصَّلُ: (جياً).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 5/458، وابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة: 3/1099.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغاني].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 5، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-57-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 5: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغاني، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-57-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»